الزيادات الصرفية المستلحقة

دراسة لبعض الصيغ الرباعية

الدكتور محمد عبد الله جبر

كلية الآداب جامعة الإسكندرية

١

صَوْغ الكلمات في اللغة العربية بما تعارَف عليه أهلها بٱسم الٱشتقاق هو بلا شكٍّ وسيلتها الكبرىٰ إلىٰ تنمية ثروتها اللفظية ، وتلك سِمة تشارِك فيها اللغاتُ الساميَّة اللغةَ العربية في ذلك المجال . ولقد نال الٱشتقاق عناية علماء العربية منذ شرعوا يتناولون دراسة صرفها ونحوها وسائر فروع الدرس اللغوي وإن لم يُشِرْ أكثرهم إلىٰ ما بين العربية وأخواتها الساميَّات من صلة قرابة وتشابُه بيِّن في كثير من الظواهر اللغوية .

وقد بسَط ٱبن جِنِّي القول في الٱشتقاق وقلَّبَ أوجُهًا ٱستنبطَها بتفكيره النظري فجعله نوعين : الٱشتقاق الأصغر ـ أو هو الصغير ـ والٱشتقاق الأكبر ، ويَعني به " أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلىٰ تقاليبه الستة معنًى واحدًا " [1] ، وهو الذي سمَّاه اللغويون مِن بعده بالكبير ، وأطلقوا ٱسم الٱشتقاق الأكبرعلىٰ ما يكون فيه ٱشتراك في بعض الحروف الثلاثة سواء أكان بين الحروف المتغايرة تشابُه أو تقارُب في المخرج أم لم يكن ـ على القول الأرجح ـ مع وجود تناسُب وتوافُق في

---

[1] ٱبن جِنِّي : الخصائص ١ : ١٤٣ ـ ١٤٤ تحقيق محمد علي النجار ، ط٢ دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ م. ، وحديثًا سمَّاه عبد الله أمين : الكُبَّار ، وجعل الكبير للإبدال اللغوي وسمَّى النحت : الكُبَّار ، الٱشتقاق : ٣٣٣ ، ٣٧٣ ، ٣٩١ ط١ لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م.

المعنى مثل : نفث ونفس ونفز ، ونعق ونهق [٢] ، وهو ما سمَّاه ٱبن جِنّي " تصاقُب الألفاظ لتصاقُب المعاني " " وهو أن تتقارَب الحروف لتقارُب المعاني ، من ذلك قول الله سبحانه : " أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا " (﴿٨٣﴾ : مريم) أيْ : تُزعِجهم وتُقْلِقهم ؛ فهذا في معنى : تَهُزُّهُمْ هَزًّا ، والهمزة أختُ الهاء . . . ومنه العَسْف والأَسْف ؛ والعَيْن أُخت الهمزة ، ومنه القَرْمة وقلَّمتُ أظفاري فالراء أخت اللام ، والجَرْفة أخت جَلَفْتُ القَلَم ، وقريب منه الجَنَف " [٣] .

ومعظم الأصول الٱشتقاقية ثلاثي ، وقليل منها رباعي ، وأقلُّها خماسي . ومِمَّا يقتضيه الٱشتقاق وصَوْغ الكلمات أن تُزاد على الأصول عناصر لغوية أخرى ـ هي المعروفة بحروف الزيادة ـ تدخل في بِنْية الصيَغ المشتقَّة للدلالة على معنًى فوق ما يدلّ عليه المعنى الذي يقوم عليه الأصل المجرَّد ؛ كالذي نجده في صَوْغ الفعل المضارِع ، وصَوْغ ٱسم الفاعل وبقية الأسماء المشتقّة . وقد ٱنحصرتْ تلك الأحرف في عشرة تُدْرَس مواقعها ودلالاتها في علم الصرف الذي أُطلِق عليه : الصغير والأصغر .

وقد ميَّز علماء الصرف بين الأَحرُف الأصول والأحرف الزوائد بشكل يكاد يكون قاطعًا بدراسة الصُّوَر الشائعة لِوُرود الزوائد في المواقع المختلفة من الصِّيَغ ، وٱنتهَوْا إلى ما يَقرُب من تثبيت لتلك المواقع إلَّا فيما كان

---

[٢] محمد المبارَك : فِقْه اللغة وخصائص العربية ص ١١١ ط ٣ دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨ م.

من الصُّوَر النادرة ، وكان بينهم في شأنها خِلاف في تحديد الأصليّ والزائد ، ولكن الذي لا خِلاف بينهم فيه هو عِدَّة تلك الأَحرُف الزوائد ودلالاتها ، وأنَّ الدليل على أصليَّة عناصر الكلمة هو ثبوتها في التصريفات المختلِفة مع مراعاة ما قد يعتَور الكلمة من صُوَر الإعلال .

وحَصَرَ الصرفيون أَحْرُف الزيادة في عشرة تجمعها كلمة " سألتمونيها " أو ما تكوَّن منها في كلمتين ؛ لعلَّهم أرادوا أن يسهِّلوا للدارسين حِفظها والإبدال المتعارَف على وقوعها في الكَلِم العربيّ في الأبواب الصرفية الخاصة بذلك . ، وأنكروا أن تشتمل الكلمات العربية ـ إلى جانب الأَحْرُف الأُصول ـ على شيء غير تلك الأَحْرُف الزوائد وإنْ وُجِد لفظان متماثلان في ثلاثة أُصُول واحتوى أحدهما على حَرْف زائد سِوَى تلك العشرة ؛ فقد دفع ابن جِنّي أن يكون " سَبِطٌ وسِبَطْرٌ " من أصل واحد وأنَّ الراء في سِبَطْر زائدة ، وجعل هذا مِن " تداخُل الثلاثي والرباعي لتشابههما في أكثر الحروف ، فهذان أصلان لا محالة ؛ ألا تَرَى أنَّ أحدًا لا يدَّعِي زيادة الراء ! ومِثله : دَمِثٌ ودِمَثْرٌ ، وحَبَجٌ وحِبَجْرٌ ، وينبغي أن يكون جميع هذا مِن أصلَين : ثلاثي ورباعي " [٤] .

ولكن نتبُّع مثل هذه الظاهرة التي أباها الصرفيون كما أباها ابن جِنّي وفسَّر وقوعها بتداخُل الأُصُول الثلاثية والأُصُول الرباعية يُثبِت أنَّ الراء

---

[٣] الخصائص ١ : ١٤٥ ـ ١٤٧ .

[٤] ابن جِنّي : الخصائص ١ : ٤٩ ـ ٥١ .

قد زِيدتْ في كلمات كتلك التي ٱستبعدوا زيادتها فيها ـ مِمَّا أورده ٱبن جِنّي ـ وفي غيرها .

وقد أشار المستشرق " برجشتراسر " إلىٰ ظاهرة لغوية تُفسِّر ما طرأ على عدد مِن الأُصُول الرباعية المشابِهة لِما أعرِضُ له هي ظاهرة التخالُف Dissimilation في الصوت المضَّعف ، وأرجعَ حدوثها إلىٰ عامل نفسي هو " أنَّ المتكلِّمَ يرجو أنْ يؤثِّر في نفس السـامع تأثيرًا زائدًا ؛ فلا يكتفي بالضغط على الحرف وتشديده ، بل يُضِيف إليه حرفًا آخَر لزيادة ذلك التأثير " (٥) .

وقدَّم الأستاذ الدكتور رمضان عبد التوَّاب تفسيرًا آخَر لوقوع المخالَفة الصوتية التي أشار إليها برجشتراسر وهو كراهية تَوالِي الأمثال ، ورأىٰ أنَّ التخلُّص من تَوالي الأمثال يتحقَّق بـ " قلْب أحد المتماثِلَين صوتًا آخَر يغلب أنْ يكون مِن الأصوات المتوسِّطة المائعة أو مِن أصوات العِلَّة " (٦) ، وبذلك أرجعَ الأمر إلىٰ ظاهرة صوتية فونولوجية هدفُها تيسير النطق لا إلىٰ عامل نفسي ـ كما رأىٰ برجشتراسر ـ ولا إلىٰ صياغة تصريفية مورفولوجية مستحدثة تقوم علىٰ زيادة عنصر يماثل سائر الأَحرُف المزيدة

---

(٥) برجشتراسر : التطور النحوي لِلُّغة العربية ص ٢٢ ، نشرة محمد حمدي البكري مطبعة السماح ، القاهرة ١٩٢٩ م.

(٦) د. رمضان عبد التوَّاب : بحوث ومقالات في اللغة ص ٥٥ ، ط ٣ ، الخانجي القاهرة ١٩٩٥ م. وفصول في فقه العربية ص ٢١٥ ، ط ٥ الخانجي القاهرة ١٩٩٧ م .

في علم الصرف ويقع في مثل المواقع التي تَرِدُ فيها تلك الأَحرُف كالنون في عُنْقُود ، والياء في ضَيْغَم ، والواو في كَوْثَر ، واللام في فَلْطَحَ .

وتناوَل الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين ثلاثة من العناصر الإشارية تُماثِل الراء المَزيدة ، وأوضحَ أنَّ تلك العناصر ممَّا لَمْ يلتفِت إليه الصرفيون في حديثهم عن الزيادات المعروفة على الأُصُول الصرفية ؛ وهذه العناصر هي :

١ . الباء اللاحقة في مثل : أرنب وثعلب وعقرب ، وقال إن الباحثين المُحْدَثين سمَّوْها " باء التحقيق b-determinatif " وقال إن بروكلمان أشار إليها في كتابه " Grundriss,1:396 " ، واقترح الدكتور عابدين أن تُسمَّى : " الباء المُميِّزة " .

٢ . الشين السابقة في : شَهْرَب وشَهْرَبَة .

٣ . السين اللاحقة في : قُدْمُوس وخُلابِس .

وقد سمَّاها الدكتور عابدين " الزوائد الثابتة " في مقابل " الزوائد المُفارِقة " المعروفة في الصرف ، وفسَّر وجودها بأنها قد أُضيفتْ إلى الأصل الاشتقاقي في أزمان قديمة وتناستْها الأجيال وخَفِيَ أمرُها على المتأخِّرين فظنُّوا أنها من الأصل فأدرَجوا الكلمات التي وَرَدَتْ فيها تحت الرباعي والخماسي المُجرَّد [٧] .

---

[٧] الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين : محاضرات في علم اللغة الحديث ، ص ١٩٠ ـ ١٩٦ ، الإسكندرية ١٩٨٦ م.

وأرىٰ أنَّ تسمية هذا النوع من الزيادات بٱسم " الزيادات المُستَلْحَقة " ربَّما يكون مُعبِّرًا عن كونها مُدَّعاة بين الأُصُول ؛ كما كان بعض العرب في الجاهلية " يَستَلحِق " ٱبنًا يدَّعي ٱنتسابه إليه ، أو كونها مُنضمَّة إلى الأحرف الزوائد الصرفية بعد أن أنكرها علماء الصرف زمانًا .

وقد أَحصَيتُ تسعة وخمسين من الأُصُول الرباعية تقع الراء فيها ثانيةً ونجِدُ ما يوافقها من الأُصُول الثلاثية يخلو من الراء ، وهذه المقارنة اليسيرة تُنبِئ بزيادة الراء إلىٰ أُصُول ثلاثة تحمل معنًى أساسيًّا لِما يُعبِّر عنه الرباعي أو مُقارِبًا له ؛ بحيث أستطيع أن أقول بزيادة الراء في ٱطمئنان [٨] .

قد يُقال إنَّ هذا العدد قليل إذا قِيس إلىٰ مجموع الأُصُول الثلاثية أو الرباعية فلا يُتَّخَذ بُرهانًا على زيادة الراء فضلًا على إنكار الصرفيين وقوعها زائدة ، لكنَّ قَدْرًا من ٱستنتاجاتهم القائمة على الٱستقراء ٱعتمد علىٰ مثل ذلك العدد ، بل علىٰ أقَلَّ منه كما في جَزْمهم بزيادة الميم آخِرًا في كلمات قليلة مثل : " بُلْعُوم ، وحُلْقُوم " وما يُماثِلهما .

---

[٨] مِن الكلمات التي أحصَيتُها : برقع ، حرفش ، حرقف ، خرمش ، درمس ، سردح ، سربل ، سرهب ، طرمس ، غرضف ، قرطف ، كردح .

وأَعرِضُ هنا بالتحليل لعدد من الكلمات التي أرىٰ زيادة الراء فيها :

١ ـ ج ر ث م ، ج ث م

في لسان العرب : " الجُرْثُومة : الأَصْل ، وجُرْثُومة كلِّ شيء : أَصْله ومُجتَمَعه ، وفي حديث ٱبن الزُّبَيْر لَمَّا أراد أَنْ يهدِم الكعبة ويبنِيَها : " كانتْ في المسجد جَراثِيمُ " أيْ : أماكِنُ مُرتفِعة عن الأرض مُجتمِعة مِن تُراب وطِين ؛ أراد أَنَّ أرضَ المسجد لَمْ تكنْ مُستوِية . الٱجْرِنْثام : الٱجتماع واللُّزُوم لِلمَوْضِع . تَجَرْثَمَ الشيءُ وٱجْرَنْثَمَ : إذا ٱجتمَعَ " .

وأَوْرَدَ المعجم الوسيط ما في اللسان وأضاف :

" والجُرْثُومة في عِلْم الأَحياء : جُزْءٌ مِن حيوان أو نبات صالحٌ لأَنْ يُنْتجَ حيوانًا أو نباتًا آخَر كالحبَّة مِن النبات . والجُرْثُومة :البَيْضة أو البُيَيْضة في الحيوان . والجُرْثُومة : الأُحادِيُّ الخليَّةِ مِن النبات والحُيَيَّات : المِكْرُوبات (مج) " .

والأَصْل الثلاثي يُشير إلى المعنَى الذي تتضمَّنه المادة الرباعية ؛ ففي اللسان : " جَثَمَ الإنسانُ والطائر والنعامة والخِشْف والأَرنب واليَرْبُوع يَجْثِمُ ويَجْثُمُ جَثْمًا وجُثُومًا فهو جاثِمٌ : لَزِمَ مكانَه فلَمْ يبْرَحْ أيْ : تَلَبَّدَ بالأَرْض ، والجَثَمةُ والجُثُومُ : الأَكَمَةُ . جَثَمَ الطِّينَ والتُّرابَ والرَّمادَ : جَمَعَها ، والجُثْمان بمنزِلة الجُسْمان : جامِعٌ لكلِّ شيء تُريد به جِسْمه وأَلْواحَه " .

والذي في المعجم الوسيط مثل ذلك .

والمُعجمان لا يُشِيران إلى الصِّلة الصرفية والدَّلالية بين المادَّتَين ، ولكنَّ ذلك واضحٌ عند النظر فيهما ؛ فالراء زائد على الأَصْل الثلاثي .

٢ . ح ر ش ف ، ح ش ف

في لسان العرب : " الحَرْشَف : صِغارُ كل شيء ، والجرادُ ما لَم تَنْبُتْ أَجْنِحَتُه والجرادُ الكثير ، وضَرْبٌ مِن السَّمَك وفُلُوسُ السَّمَك ، ونَبْتٌ عريضُ الوَرَق . وحَرْشَفُ السِّلاح : فُلُوسٌ مِن فِضَّةٍ يُزَيَّنُ بها " .

ووَرَدَ مثلُ هذا في المعجم الوسيط .

والأَصْلُ الثلاثي في اللسان يُشِيرُ إلىٰ قريبٍ مِن مضمون تلك المعاني : ففيه :

" الحَشَفُ : أَرْدَأُ التَّمْرِ واليابِسُ الفاسِدُ مِنه ، وقِيلَ : الضَّعِيفُ الذي لا نَوَىٰ له كالشِّيصِ . والحَشَفُ الضَّرْعُ البالي ، وقد أَحْشَفَ ضَرْعُ النَّاقةِ إذا تَقَبَّضَ وصار كالشَّنِّ ، والمُتَحَشِّفُ : اللابِسُ الحَشِيف وهو الخَلَقُ ، والمُبْتَئِسُ المُتَقبِّضُ " .

وزادَ المعجم الوسيط علىٰ ذلك : " حَشَّفَ عَيْنَيْه : ضَمَّ جُفُونَه ونَظَرَ مِن خِلال أَهْدابِها . والحَشَفَةُ : أَصْلُ الزَّرْع يَبْقَىٰ بعدَ الحَصاد ، والخَمِيرةُ اليابِسة ، والعَجُوزُ الكبيرة " .

إذا فَحَصْنا المعانيَ التي يُعبِّرُ عنها الأَصْلُ الثلاثي والمادةُ المَزِيدةُ بالراء وجدناها متحقِّقة فيهما مع تنوُّع المجالات الدَّلالية ففيهما معاني الضَّعْف والقِلَّة والرَّداءة والفَساد وعدم النَّفْع في الأسماء والأَوصاف المُشتقَّة الحَشَف والحَشَفة والحَشِيف والمُتَحَشِّف ، والأفعال : أَحْشَفَ ، وحَشَّفَ وتَحَشَّفَ ، حتىٰ " فُلُوس السَّمَك وما على السِّلاح مِن فُلُوسٍ مِن فِضَّة " هي أشياءُ خارجية ليست مِن الجَوْهَر .

٣ . خ ر ش م ، خ ش م

في المادة الرباعية في اللسان :

" الخُرْشُوم : أَنْفُ الجَبَل المُشْرِفُ على وادٍ أو قاع " .

وفي المعجم الوسيط مثل ذلك .

وفي المادة الثلاثية في اللسان : " الخَيْشُوم : أَقْصَى الأَنْف ، وخَياشِيمُ الجِبالِ : أُنُوفُها ، ورَجُلٌ خُشامٌ : غليظ الأَنْفِ ، وكذلك : الجَبَلُ الغليظُ الأَنْفِ " .

وفي المعجم الوسيط مثل ذلك .

والدَّلالة المتحقّقة في المـادَّتَين واحدة في هذا الجانب ، كما تتحقَّق في مشتقات الأَصْل الواحد ومَزِيداته بل إنَّ الاختصاص بذكر الأَنْف مشترك بدرجة تامَّة .

٤ . خ ر ط م ، خ ط م

في المادة الرباعية في اللسان : " الخُرْطُوم :الأَنْفُ ، وقِيلَ : مُقَدَّمُ الأَنْفِ . أَبُو زَيْد : الخُرْطُومُ والخَطْمُ : الأَنْفُ . . . و الخُرْطُوم لِلفِيل وهو أَنْفُه . . , ولِلبَعوضة خُرْطُومٌ . وحَكَى ابْنُ بَرِّيٍّ عن ابْنِ خالَوَيْهِ : فُلانٌ خُرْطُمانِيٌّ : كبيرُ الأَنْفِ . . وخَرْطَمَهُ : ضَرَبَ خُرْطُومَهُ وعَوَّجَهُ . وانْخَرْطَمَ الرَّجُلُ : عَوَّجَ خُرْطُومَهُ وسَكَتَ على غَضَبِهِ ، أو رَفَعَ أَنْفَهُ واسْتَكْبَرَ " . وفي المعجم الوسيط مثل ذلك .

ولا يخرُجُ معنى الأصل الثلاثي والمَزِيد بالرَّاءِ عن الأَنْف وما يُماثِلُه : يقول اللسان في الأَصْل الثلاثي : " الخَطْمُ مِن كلِّ طائرٍ : مِنْقارُه ، ومن

كلِّ دابَّةٍ مُقدَّمُ أَنْفِها وفَمِها . . . أَبو عَمرو الشَّيْبانِيّ : الأُنُوفُ يُقالُ لها : المَخاطِمُ . الخَطْمُ والمَخْطِمُ والمِخْطَمُ : الأَنْفُ . وخَطَمَهُ يَخْطِمُهُ خَطْمًا : ضَرَبَ مَخْطِمَهُ ، ورَجُلٌ أَخْطَمُ : طويلُ الأَنْفِ . والخِطامُ : كلُّ ما وُضِعَ في أَنْفِ البَعِيرِ لِيُقادَ بِهِ وسِمَةٌ عليه . وخَطَمَ البَعِيرَ بالخِطامِ وخَطَّمَهُ : جَعَلَهُ على أَنْفِهِ " . وفي المعجم الوسيط مثل ذلك .

والعَلاقةُ المعنوية بين المادَّتَيْنِ جَلِيَّةٌ وواضحةٌ أَشَدَّ الوُضُوح .

٥ . ز ر ن ب ، ز ن ب

عن الرباعي يقول اللسان : " الزَّرْنَبُ : ضَرْبٌ مِن النباتِ طَيِّبُ الرَّائحة ، وقِيلَ : هو ضَرْبٌ مِن الطِّيبِ ، وقِيلَ : هو شَجَرٌ طَيِّبُ الرِّيحِ ، وفي حديثِ أُمِّ زَرْعٍ : المَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ ، والرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ " .

وأَوْجَزَ المعجم الوسيط هذا التعريفَ إيجازًا شديدًا .

وفي الثلاثي يُورِدُ اللسان : " الزَّيْنَبُ : شَجَرٌ حَسَنُ المَنْظَرِ طَيِّبُ الرَّائحةِ ، وبِهِ سُمِّيَتِ المَرْأَةُ " . ونَقَلَ المعجم الوسيط هذا التفسير .

والرَّاءُ في الرباعي مُعادِلٌ للياء الزائدة على الثلاثي .

٦ . س ر م د ، س م د

في الرباعي يقول اللسان : " السَّرْمَدُ : دَوامُ الزَّمانِ مِن ليلٍ أو نهار . وليلٌ سَرمَدٌ : طويلٌ ، . . . السَّرْمَدُ : الدَّائمُ الذي لا ينقطعُ " .

وذُكِر مثلُ ذلك في المعجم الوسيط .

وفي الثلاثي يقول اللسان : " سَمَدَ : ثَبَتَ في الأَمْرِ ودامَ عليه ، وهو لك أَبَدًا سَمْدًا سَرْمَدًا (عن ثعلب) بِمَعْنًى واحدٍ ، ولا أَفْعَلُ ذلك سَمْدًا سَرْمَدًا " .

وأهمل المعجم الوسيط هذا المعنى .

وهو أَوْضَحُ ما يكونُ دَلالةً على الصِّلة التي تربِطه بالرباعي المَزِيد بالراء .

٧ . ض ر غ م ، ض غ م

وَرَدَ في اللسان في المادة الرباعية :

" الضَّرْغَمُ والضِّرْغامُ والضِّرْغامةُ : الأَسَدُ ، ورَجُلٌ ضِرْغامةٌ : شُجاعٌ وضَرْغَمَ الأَبطالُ بعضُها بعضًا وتضَرْغَمت الأَبطالُ في الحرْبِ " .

وفي المعجم الوسيط : " ضَرْغَمَت الأَبطالُ : فَعَلَتْ فِعْلَ الضَّراغِم في جُرْأَتِها ، والضَّرْغَمُ والضِّرْغامُ والضِّرْغامةُ : الأَسَدُ الضَّاري الشَّدِيدُ " .

وفي المادة الثلاثية في اللسان : " الضَّغْمُ : العَضُّ الشَّدِيدُ ، وهو أَنْ يملأَ فَمَهُ ، ومِنْهُ سُمِّيَ الأَسَدُ ضَيْغَمًا بزيادة الياء ، والضَّيْغَمُ : الذي يَعَضُّ " .

وفي المعجم الوسيط مثلُ ذلك .

وجَلِيٌّ ما بين المادتين مِن صِلةٍ دَلالية وتماثُلٍ في زيادة الياء والراء بعد الضاد .

٨ . ط ر م ح ، ط م ح

المادة الرباعية في اللسان : " طَرْمَحَ البِناءَوغيْرَه : علَّاه ورَفَعَه ، والميمُ زائدة ، والطِّرِمَّاحُ : المُرْتَفِعُ ، وهو أيضًا : الطويل والرَّافِعُ رأسَه زَهْوًا " .

وليس في المعجم الوسيط مادة ط ر م ح ولم ترِدْ في مادة ط ر ح .

وفي المادة الثلاثية يُورِد اللسان : " طَمَحَ بَصَرُه إلى الشيء : ٱرتفَعَ ، وأَطْمَحَ بِبصرِه : رَفَعَه ، وكلُّ مُرتفِعٍ مُفْرِطٍ في تكبُّرٍ : طامِحٌ : وذلك لِٱرتفاعِه " . وفي المعجم الوسيط مثل ذلك .

والعلاقة المعنوية بين المادتين جليَّة بيِّنة ، ولا أجد مَساغًا للحِرْص الذي أبداه ٱبن منظور إذ ينُصُّ على زيادة الميم ، على حين أن ٱشتراك مادتَيْ : " ط ر م ح " و " ط ر ح " في معنى الٱرتفاع يكاد يكون من عمل المعجميين لتبرير هذا المعنى في الرباعية ولكي يتَّسق النظام الصرفي الذي لا يقبل زيادة الراء ؛ فليس في مادة " ط ر ح " أثر لهذا المعنى إلَّا في صيغة " فَعَّلَ " وبشيء من الٱدِّعاء ، وهذه عبارته : " طَرَّحَ الشيءَ : طَوَّلَه ، وقِيلَ : رَفَعَه وأعْلاه ، وخَصَّ بعضُهم به البِناءَ فقال : طَرَّحَ بِناءَه تطريحًا : طَوَّلَه جِدًّا ، قال الجوهري : وكذلك طَرْمَحَ ، والميمُ زائدة " . ولو أنَّ مَن قال بأنَّ التطويل في طَرَّحَ يتحوَّل إلى التعْلِية في البِناء كان مُنصِفًا لَرَبَطَ ذلك المعنى بصيغة " طَمَّحَ " . والواضح أنَّ ما ٱشتمل عليه اللسان في هذا الموضع ليس مُوَثَّقًا كما هو الشأن في نُقُول ٱبن منظور .

والمعجم الوسيط لا يُفِيضُ في هذه الصيغة وإنْ أوْرَدَ لها معنًى زائدًا فقال : " طَرَّحَ الشيءَ : طَرَحَه ، وطَرَّحَ البِناءَ : طَوَّلَه جِدًّا أو وَسَّعَه " .

وأحسب أنَّ المعنى الأخير هو المقصود وليس معنى التعْلِية والرَّفْع ؛ ورُبَّما كان مَرَدُّ هذا إلى الخلْط بينَ مفهومَي الطُّول والٱرتفاع في العربية ؛ فالوَصفُ بالطُّول قد يُراد به طولُ قامة الإنسان والمُراد ٱرتفاع قامته عن مُستوَى سطح الأرض .

٩ . ع ر ق ب ، ع ق ب

قال اللسان في المادة الرباعية : " العُرْقُوب : العَصَب الغليظ المُوَتَّر فوق عَقِبِ الإنسان . الأزهري : العُرْقُوب : عَصَبٌ مُوَتَّرٌ خَلْفَ الكَعْبَيْنِ " .

وفي المعجم الوسيط مثل ذلك .

وفي الثلاثي قال اللسان : " عَقِبُ القَدَمِ وعَقْبُها : مُؤخَّرُها ، وفي الحديث أنه بَعَثَ أُمَّ سُلَيْمٍ لتنظُر له ٱمرأةً فقال : ٱنظُرِي إلىٰ عَقِبَيْها ، أو عُرْقُوبَيْها . والعَقَبُ : العَصَبُ الذي تُصنَع منه الأَوْتارُ " .

وفي المعجم الوسيط : " العَقَبُ : العَصَبُ الذي تُصنَع منه الأَوْتارُ . العَقِبُ : عَظْمُ مُؤخَّرِ القَدَمِ ، وهو أكبرُ عِظامِها " ، وأشار إلىٰ أن هذا التعريف مِن عمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

والعلاقة واضحة بين العُرْقُوب الذي هو العَصَب الغليظ المُوَتَّر فوق العَقِبِ ، والعَقِب الذي هو مُؤخَّرُ القَدَمِ ـ كما في اللسان ـ أو عَظْمُ مُؤخَّرِ القَدَمِ ـ كما في المعجم الوسيط .

١٠ . ع ر ق ل ، ع ق ل

يقول اللسان في المادة الرباعية :

" عَرْقَلَ الرَّجُلُ إذا جارَ عن القَصْدِ ، وعَرْقَلَ عليه كلامَهُ : عَوَّجَهُ ، والعَرْقلةُ : التَّعْوِيجُ ، والعَراقِيلُ : الدَّواهي ، وعَراقِيلُ الأُمُورِ : صِعابُها " .

وفي المعجم الوسيط مثل ذلك .

وفي الثلاثي يقول اللسان : " عَقَلَ البَعِيرَ وعَقَّله وٱعْتَقَله : ثَنَىٰ وَظِيفَه مع ذِراعِه وشَدَّهما جميعًا في وسط الذِّراع ، وٱعْتُقِلَ لسانُه إذا حُبِس ومُنِع الكلامَ ، والعَقَلُ : ٱلْتواءٌ في الرِّجْلِ ، وقد عَقِلَ . والعُقَّالُ داءٌ في رِجْلِ الدَّابَّةِ . وعواقيلُ الأُمُورِ : ما ٱلْتَبَسَ مِنها . وعاقُولُ النَّهْرِ والوادي والرَّمْلِ : ما ٱعْوَجَّ مِنْه ، وهو أيضًا ما ٱلْتَبَسَ مِن الأُمُورِ . والعَقَنْقَلُ ما

ٱرْتَكَمَ مِن الرَّمْلِ وتعَقَّلَ بعضُه ببعض " .

وفي المعجم الوسيط مثل ذلك .

والصِّلة المعنوية بينَ المادَّتَيْنِ واضحةٌ ففيهما الٱلْتِباسُ والتعَوُّجُ والٱلْتِواءُ والتعقُّدُ والٱحْتِباسُ والصُّعُوبة ، فكأَنَّ الرباعية نَمَطٌ كالمَزِيد بالتضعيف أو بالنون ثانيةً .

١١ . ف ر ت ك ، ف ت ك

يقول اللسان في المادة الرباعية :

" فَرْتَكَ عَمَلَهُ :أَفْسَدَهُ ، يكون ذلك في النَّسْج وغيره ، وفي النوادر : بَرْتَكْتُ الشيءَ بَرْتَكَةً وفَرْتَكْتُهُ فَرْتَكَةً وكَرْنَفْتُهُ إذا قطَّعْتَهُ مِثلَ الذَّرِّ " .

والمعجم الوسيط يزيد على ما أوردَه اللسان " فَرْتَكَ : مَشَى مُتقارِبَ الخُطَا " . ولستُ أطمئنُّ إلى ذلك إذ وَرَدَ المعنَى نفسُه في ف ر ت ن ؛ فلَعَلَّه ٱنْتِقال نظر . وفي المعجم الوسيط مثل ذلك .

فالمادتان مجتمعتان في معنَيَيْنِ هما : إفساد الشيء ، وتفكيك أجزائه وجعْلها دقيقة وغير متماسكة ، وربما ٱجْتمَع العَملان .

١٢ . ف ر ط ح ، ف ط ح

يقول اللسان في المادة الرباعية : " فَرْطَحَ القُرْصَ وفَلْطَحَهُ إذا بَسَطَهُ ، وكلُّ شيءٍ عَرَّضْتَهُ فقد فَرْطَحْتَهُ ، ورَأْسٌ مُفَرْطَحٌ أَيْ عَرِيضٌ " .

وفي المعجم الوسيط إجمال لما في اللسان .

ويقول اللسان في المادة الثلاثية : " الجوهري : فَطَحَهُ فَطْحًا : جَعَلَه عريضًا ، ويُقالُ : فَطَّحْتُ الحدِيدةَ إذا عرَّضْتَها ، والفَطَحُ : عِرَضٌ في

وسط الرأْس ، ورَجُلٌ أَفْطَحُ : عريضُ الرأس ، ورأْسٌ أفْطَحُ ومُفَطَّحٌ : عريضٌ " . وفي المعجم الوسيط إجمال لما في اللسان .

ولا أَجِدُ صعوبة في الربط بين المادتين مِن حيث الأصل الثلاثي : ف ط ح ومِن حيث دلالتهما على معنى العِرَض والاتِّساع ، وقد أشار اللسان إلى وجود صيغة مَزِيدة باللام هي : فَلْطَحَ هي بالمعنى نفسه .

١٣ . ف ر ط س ، ف ط س

وَرَدَ في المادة الرباعية في اللسان : " فُرْطُوسةُ الخِنْزِيرِ وفِرْطِيستُه وفِنْطِيستُه : أنْفُه وخَطْمُه ، وأنْفٌ فِرْطاسٌ : عريضٌ " . وأوجزَ المعجم الوسيط ذلك .

وفي المادة الثلاثية في اللسان : " الفَطَسُ : انْخِفاضُ قَصَبةِ الأَنْفِ وانْفِراشُها ، والفِطِّيسةُ والفِنْطِيسةُ : خَطْمُ الخِنْزِيرِ . الجوهري : فِطِّيسةُ الخِنْزِيرِ : أنْفُه ، وكذلك الفِنْطِيسةُ ؛ كذا رواه ثعلبٌ على فِنْعِيلة ، والنون زائدة " .

ولم يَزِد المعجم الوسيط على ما في اللسان .

والمعنى في المادَّتَيْنِ واحدٌ ؛ هو أنْفُ الخِنْزِيرِ وخَطْمُه . والقول بزيادة النون في الفِنْطِيسة يؤيِّد ما أذهبُ إليه مِن زيادة الراء فهي واقعة في موقعها .

١٤ . ف ر ق ع ، ف ق ع

يقول اللسان في المادة الرباعية : " الفَرْقَعَةُ : الصوتُ بينَ شيئَيْنِ يُضرَبانِ وفَرْقَعَةُ الأصابِع : غَمْزُها حتَّى يُسمَعَ لمفاصِلِها صوتٌ ، وقد فَرْقَعَها

فتفَرْقَعَتْ ، والفَرْقَعَةُ في الأصابِعِ والتَّفْقِيعُ واحدٌ " .

واْشتملَ المعجم الوسيط على ما في اللسان وأضاف : " فَرْقَعَ الشيءَ : فَجَّره فبَدا له دَوِيٌّ ، والفَرْقَعَةُ : تفَجُّرٌ بِشِدَّةٍ وصوتٍ راعدٍ ، والمُفَرْقَعاتُ : المُتفَجِّراتُ ، وهي موادُّ قويَّةُ الاْنفِجارِتُستعمَل في الحرب والهَدْمِ وبعض الصناعات " .

وفي المادة الثلاثية في اللسان : " فَقَّعَ أصابِعَه تفقيعًا إذا غَمَزَ مفاصِلَها فأنْقَضَتْ وهي الفَرْقَعةُ أيضًا ، والتفقيعُ : صوتُ الأصابِعِ إذا ضَرَب بعضَها ببعضٍ ، أو فَرْقَعَها . وتفقيعُ الوردةِ : أنْ تُضرَبَ بالكَفِّ فتُفقَّعَ وتَسمعَ لها صوتًا " .

وقد أوْرَدَ المعجم الوسيط مثل ما في اللسان وأضاف : " فَقَعَ الشيءَ : شَقَّه ، واْنْفَقَعَ الشيءُ : اْنْشَقَّ ، و فَقَّعَ الشيءَ المنفوخَ : ضرَبَه بكَفِّه فاْنْشَقَّ وصَوَّتَ " . وأشار إلى أنَّ المعنى المذكور آخِرًا مُوَلَّدٌ .

والمعنى المشترك بين المادَّتَيْنِ ـ كما هو واضحٌ ـ معنى إصدار الصوت ، وفي فَقَّعَ مُماثَلةٌ لصيغةِ فَرْقَعَ ، وكأنَّ الراءَ بديلٌ مِن التضعيف كالحال في موادّ أُخَر .

١٥ . ق ر ض ب ، ق ض ب

تناوَل اللسان المادَّة الرباعية بما يأتي :

" قَرْضَبَ الشيْءَ : قَطَعَه ، وقَرْضَبَ اللَّحْمَ : أكَلَ جميعَه ، وكذٰلك : قَرْضَبَ الذئبُ الشاةَ ، وقَرْضَبَ الرجُلُ إذا أكَلَ شَيْئًا يابِسًا ؛ فهو قِرْضابٌ ، والقَرْضَبَةُ : شِدَّةُ القَطْعِ . وسَيْفٌ قُرْضُوبٌ ، وقِرْضابٌ

ومُقَرْضِبٌ : قَطَّاعٌ . وفي الصِّحاح : القُرْضُوبُ والقِرْضابُ : السيفُ القاطِعُ يَقطَعُ العِظامَ ، والقِرْضابُ : الكثيرُ الأَكْلِ ، والقُرْضُوبُ والقِرْضابُ والمُقَرْضِبُ : الذي لا يَدَعُ شيئًا إلَّا أَكَلَه " .

ولم يخرج ما في المعجم الوسيط عمَّا أورده اللسان .

وأما المادَّة الثلاثية في اللسان فقد جاء فيها :

" القَضْبُ : القَطْعُ ؛ قَضَبَه واقتضبه وقضَّبه فانقضب وتقضَّب : انقطع ويقال لِلمِنْجَل : مِقضَب ومِقضاب ، وقضَّب الكَرْمَ : قطع أغصانَه وقُضبانَه ، واقتضبْتُ الحديثَ : اقتطعْتُه ، وسيفٌ قاضبٌ وقضَّابٌ وقضَّابةٌ ومِقضَبٌ وقضِيبٌ : قَطَّاعٌ ، والقضيبُ : الغُصْنُ الذي يُقطَع " .

والمادة الثلاثية في المعجم الوسيط تشمل ما في اللسان وتضيف ما يلي

" القضيب : الشريط مُمدَّد من الصُّلب تسير عليه القُطُر " ، وأشار إلىٰ أن الكلمة بهٰذا المعنىٰ مُولَّدة ؛ فكأنَّ هٰذا القضيب الصُّلب شُبِّه بالقضيب من الأغصان ، أو بالسيف المصنوع من الحديد الصُّلب ، فأُطلِق عليه الاسم نفسه .

والدلالة الأصيلة للمادتين جميعًا هي القَطْع ، وحولها تدور معاني المشتقَّات والمَزيدات ، وإن تكن الثلاثية أوسع تصرُّفًا في الصِّيَغ ، وتنوُّعًا في الدلالات ، وكأنَّ الراء في الرُّباعي في مقابل التضعيف الزائد على الثُّلاثي .

١٦ . ق ر ف ص ، ق ف ص

أورد اللسان في المادة الرباعية ما يلي :

" القَرْفَصةُ : شَدُّ اليَدَيْنِ تحتَ الرِّجْلَيْنِ ، وأن تَجمعَ الإنسانَ وتَشُدَّ يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ . وقد قَرْقَصَ قَرْفَصةً ، وجلسَ القِرْفِصاءَ والقَرْفَصاءَ والقُرفُصاءَ : ضَرْبٌ من القُعُود " .

وفي المعجم الوسيط مثل ذٰلك .

وفي المادة الثلاثية يقول اللسان : " قَفِصَ قَفَصًا فهو قَفِصٌ : تَقَبَّضَ وتَشَنَّجَ من البَرْدِ ، وقَفَصَ الشيءَ قَفْصًا : جَمَعَه ، وقَفَّصَ الظَّبْيَ : شَدَّ قوائمَه وجَمَعَها ، وتَقافَصَ الشيءُ : ٱشتبَك " .

وفي المعجم الوسيط مثل ذٰلك .

وواضح ما في المادتين من ٱشتراك في الدلالة ، فهما تشيران إلىٰ ضَمِّ الأطراف وشَدِّها معًا ، وبوَجهٍ خاصٍّ بين الصيغة المَزيدة بالتضعيف : قَفَّصَ والصيغة المَزيدة بالراء : قَرْفَصَ ، وكأنَّ الراءَ ٱجتُلِبتْ مكانَ التضعيف ، وأحسب أنَّ ذٰلك تحقَّقَ في حالات غير هٰذه الحالة .

١٧ . ق ر م ش ، ق م ش

ورد في المادة الرباعية في اللسان ما يأتي :

" قَرْمَشَ الشيءَ : جَمَعَه ، والقَرْمَشُ والقَرَمَّشُ : الأَوْخاشُ من الناسِ وفيها قِرَمِشٌ من الناسِ ، أَيْ : أَخْلاطٌ " .

وفي المعجم الوسيط مثل ذٰلك .

وأما المادة الثلاثية في اللسان ففيها ما يأتي :

" قَمَشَه قَمْشًا : جَمَعَه . الليث : القَمْشُ : جَمْعُ القُماش ، وهو ما كان علىٰ وجه الأرض من فُتات الأشياء ، حتىٰ يُقال لرُذالة الناس : قُماش .

وقُماش كل شيءٍ وقُماشته : فُتاته ، والقَمْشُ : الرَّديءُ من كل شيءٍ ، والقَمْشُ أيضًا : جَمْعُ الشيءِ من هٰهُنا وهٰهُنا ، وتَقَمَّشَ القُماشَ واقْتَمَشَه أكَلَه من هٰهُنا وهٰهُنا " .

وفي المعجم الوسيط مثل ذٰلك ، وزاد ما يأتي :

" والقُماش : كل ما يُنسَج من الحرير والقطن ونحوهما ، والجمع : أَقْمِشة " وأضاف أن هٰذا المعنى مُوَلَّد ، وزاد أيضًا : " القَمَّاش : بائع القُماش " ، وهٰذا المعنى مُوَلَّد كذٰلك .

وواضح ما بين المادَّتَين من صِلة دَلالية فيما عدا المُوَلَّد ؛ فالجَمعُ مِن هٰهُنا وهٰهُنا والرَّداءة والاختلاط معانٍ مشتركة بينهما وفيما بين المشتقات .

١٨ . ك ر د س ، ك د س

قال اللسان المادة الرباعية : " كَرْدَسَ القائدُ خَيْلَهُ أَيْ : جَعَلَها كَتِيبةً كَتِيبةً ، والكرادِيسُ : كَتائبُ الخَيْلِ . وكُلُّ عَظْمٍ تامٍّ ضَخْمٍ كثيرِ اللَّحْمِ كُرْدُوسٌ ، ؛ ومِنْهُ قَوْلُ عليٍّ ﷺ في صِفة النَّبِيِّ ﷺ : ضَخْمُ الكرادِيسِ ؛ أرادَ أنَّه ﷺ ضَخْمُ الأعضاءِ . قال أبو عُبَيْدَةَ وغيرُه : الكرادِيسُ : رُؤُوسُ العِظامِ ، واحِدُها : كُرْدُوسٌ ، وكُلُّ عَظْمَيْنِ الْتَقَيَا في مَفْصِلٍ فهُوَ كُرْدُوسٌ ؛ نحوُ المَنْكِبَيْنِ والرُّكْبَتَيْنِ والوَرِكَيْنِ . والكَرْدَسَةُ : الوِثاقُ ، والصَّرْعُ القَبيحُ ؛ يُقالُ : كَرْدَسَهُ ولَبَجَ بِهِ الأَرْضَ . ورَجُلٌ مُكَرْدَسٌ : شُدَّتْ يَداهُ ورِجْلاهُ وصُرِعَ . والتَكَرْدُسُ : التجَمُّعُ والتَقَبُّضُ " .

وأوجز المعجم الوسيط الكلام على هٰذه المادة ولم يخرج عمَّا في اللسان .

وأمَّا المادة الثلاثية فيقول اللسان فيها :

" يُقالُ : أخَذَه فكَدَسَ به الأرضَ . وفي الحديث : كان لا يُؤتَىٰ بأحد إلَّا كَدَسَ به الأرضَ ؛ أيْ : صَرَعَه وأَلْصَقَه بها . والكُدْس : ما يُجمَعُ من دراهمَ ونحوه ، ومن الرمْلِ : هو المتراكِب الكثير . وفي حديث قتادة : كان أصحابُ الأَيْكة أصحابَ شَجَرٍ مُتكادِسٍ ؛ أَيْ : مُلْتَفٍّ مُجتمعٍ ؛ مِنْ : تَكَدَّسَت الخَيْلُ إذا ٱزْدَحَمَتْ " .

وفي المعجم الوسيط عرْضٌ مُرتَّبٌ لِما في اللسان بغير زيادة .

وقد ٱقتصرتُ هنا على المعنيَين اللَّذَين تظهر بينهما الصلة واضحة وقوية وهما معنى الجَمْع لِلمال والخيل وغير ذٰلك ، وصَرْع الخَصْمِ على الأرض ، وفيهما ما يُشير إلىٰ علاقة المَزِيد بأصله كالشأن في سائر المَزيدات .

١٩ . ك ر ز م ، ك ز م

يقول اللسان في المادة الرباعية :

" الكَرْزَمُ : القصيرُ الأَنْفِ . وقال الأزهري : سمِعتُ العربَ تقولُ للرجُلِ القصيرِ : كَرْزَمٌ " .

والمادة ليست في المعجم الوسيط .

ويقول اللسان في المادة الثلاثية :

" كَزِمَ كَزَمًا ، وهو أَكْزَمُ ؛ الكَزَمُ : قِصَرٌ في الأَنْفِ قَبيحٌ ، والكَزَمُ في الأُذُنِ والأَنْفِ والشَّفَةِ واللِّحْيِ واليَدِ والفَمِ والقَدَمِ : القِصَرُ ، والتقلُّصُ ، والٱجتِماعُ . ورَجُلٌ أَكْزَمُ الأَنْفِ : قَصِيرُه " .

والمادة ليست في المعجم الوسيط .

والمشترك بين المادتَين قِصَرُ بعضِ أعضاءِ البَدَنِ ، والأَنْفُ أَخَصُّها به .

الخـاتمة

من تَتَبُّع النماذج التي عرضتُ لها فيما سبق نجد الراء زِيدتْ ثانيًا ، ووقعتْ في موضع زوائدَ مِمَّا قعَّد له علم الصرف تتمثَّل فيما يأتي :

١ . التضعيف

يتضح هٰذا في أربع عشرة كلمة ، وهي تمثِّل الأكثرية بين ما تناولتُه ، وهي :

تَجَرْثَم : تَجَثَّم ، حَرْشَف : حَشَّف ، خَرْطَم : خَطَّم ، سَرْمَد : سَمَّدَ ، طَرْمَح : طَمَّح ، عَرْقَب : عَقَّب ، فَرْتَك : فَتَّك ، فَرْطَح : فَطَّح ، فَرْقَع : فَقَّع ، قَرْضَب : قَضَّب ، قَرْفَص ، قَفَّص ، قَرْمَش : قَمَّش ، كَرْدَس : كَدَّس ، كَرْزَم : كَزَّم .

٢ . اليـاء

وقد وقع هٰذا في ثلاث كلمات ، هي :

خرشم : خيشوم ، زرنب : زينب ، ضرغم : ضيغم .

٣ . النون

وهٰذا في كلمتَين ، هما :

عرقل : عنقل ، فرطس : فنطس .

مراجع البحث

١ . ٱبن جِنّي : الخصائص ١ : ١٤٣ ـ ١٤٤ تحقيق محمد علي النجار ، ط٢ دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ م.

٢ . برجشتراسر : التطور النحوي لِلُّغة العربية ص ٢٢ ، نشرة محمد حمدي البكري مطبعة السماح ، القاهرة ١٩٢٩ م.

٣ . د. رمضان عبد التوَّاب : بحوث ومقالات في اللغة ص ٥٥ ، ط ٣ ، الخانجي القاهرة ١٩٩٥ م.

٤ . د. رمضان عبد التوَّاب : فصول في فقه العربية ص ٢١٥ ، ط ٥ الخانجي القاهرة ١٩٩٧ م.

٥ . د. عبد المجيد عابدين : محاضرات في علم اللغة الحديث ، ص ١٩٠ ـ ١٩٦ ، الإسكندرية ١٩٨٦ م.

٦ . عبد الله أمين : الٱشتقاق : ٣٣٣ ، ٣٧٣ ، ٣٩١ ط١ لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م.

٧ . محمد المبارَك : فِقْه اللغة وخصائص العربية ص ١١١ ط ٣ دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨ م.